حوار خاصّ مع الباحثة في "المعهد الإسرائيلي للديمقراطية"

البروفسور تمار هيرمان: من الصعب الإشارة في واقع إسرائيل إلى حركات مجتمع مدني تتطلع إلى التغيير الجوهري!

دائماً كان هناك فصل بين المجتمع المدنيّ اليهوديّ وبين المجتمع المدنيّ العربيّ. وهذه قضيّة لا يحبّذون التّحدّث عنها هنا لأنّهم يرغبون دوماً في الادّعاء أن المجتمع المدنيّ شامل لجميع الأطياف

أجرى الحوار: رائف زريق

(*) سؤال: ربّما نفتتح حوارنا معك، بقضيّة الاصطلاحات حيث (terminology) يُقْبِلُ الكثير على استخدام مصطلح المجتمع المَدَنِيّ، هناك ضبابيّة تعلو المصطلح على الرّغم من كثرة استخدامه، أين حدوده، ماذا تقصدين أنت حين تستخدمين مصطلح المجتمع المَدَنِيّ؟

هيرمان: بالطّبع أن تفتتح حوارنا بهكذا سؤال هو أمر مهمّ لصلب حديثنا، ولتحديد السّياقات المعرفيّة التي نتحدّث بالضّبط عنها. مبدئيًا، فإنّ مصطلح المجتمع المدنيّ يتطرّق لكافة الهيئات غير المنوطة بمؤسّسات الدّولة والحكومة وغير المتعلّقة بالسّوق الاقتصاديّة، بدءًا من مطعم الفقراء، حيث يُعِدّون الحساء للفقراء، وحتّى الجامعات غير الرّبحيّة. الأطياف السّياسية تحاول أن تجيّر مصطلح "المجتمع المدني" لصالحها، فعلى سبيل المثال، هناك نقاش دائر بيني وبين البروفسور نعومي حزان حول تعريف المصطلح. فهي تعتقد أنّه حتى نعتبر جمعية أو حركة جزءًا من المجتمع المدني، عليها أن تكون ذات طابع تغييري/ تثويري في المجتمع. أنا لا أُوافقها الرأي في هذه النّقطة، بالنّسبة لي هيئات المجتمع المدنيّ ناهيك عن كونها لا تتعلّق بمؤسّسات الدّولة والحكومة، وناهيك عن كونها لا تتواصل مع السّوق الاقتصاديّة، هي هيئات تبتغي إدخال تغيير على المجتمع، سواء أكان التّغيير في الجانب الاقتصاديّ أم الجانب الاجتماعيّ، وإذا كانت الهيئة المدنيّة لا تروق آرائي، لا يعني أن ألغي كونها جسمًا تابعًا للمجتمع المدنيّ، لذلك فإن هيئة مثل "نشيم بِيَارُوك" (نساء بالأخضر) هي جزء من المجتمع المدني تمامًا مثل هيئة "نشيم بِشَاحُور" (نساء بالأسود) ورْو أرتسينو" (هذه بلادنا)، التي لا يمكنني أن أخفي آرائي المناهضة لمعتقداتها، إلا أنني لا يمكنني

لكن ما حَدَثَ في المجتمع المدنيّ الإسرائيليّ هو تشكّل هيئات مدنيّة داخله، بعد عبورها مرحلة مَأْسَسَة. فمجموعة الجمعيّات غير الحكوميّة NGO's مرّت بمرحلة مأسسة كالتي أتحدّث عنها، الأمر الذي جعلها ترتبط بكلّ من الدّولة والسّوق الاقتصاديّة. وتعريف الحياديّة في هذا السّياق، على أنّ هيئة معيّنة لا تنتمي لا إلى الدّولة ولا إلى هيئات المجتمع المدنيّ، هو كلام فارغ. هناك جمعيّات غير حكوميّة تتلقّى جزءًا من أموالها من الدّولة، ومن هيئات اقتصاديّة خارج البلاد،

أن ألغي كونها تابعة لطيف المجتمع المدنيّ في سياق حديثنا عن التّعريف وحدوده.

لكن ما حَدَثَ في المجتمع المدنيّ الإسرائيليّ هو تشكّل هيئات مدنيّة داخله، بعد عبورها مرحلة مَأْسَسَة. فمجموعة الجمعيّات غير الحكوميّة NGO's مرّت بمرحلة مأسسة كالتي أتحدّث عنها، الأمر الذي جعلها ترتبط بكلّ من الدّولة والسّوق الاقتصاديّة. وتعريف الحياديّة في هذا السّياق، على أنّ هيئة معيّنة لا تنتمي لا إلى الدّولة ولا إلى هيئات المجتمع المدنيّ، هو كلام فارغ. هناك جمعيّات غير حكوميّة تتلقّى جزءًا من أموالها من الدّولة، ومن هيئات اقتصاديّة خارج البلاد، وعلى الرّغم من ذلك نحن لا نقصي هذه الجمعيّات من طيف المجتمع المدنيّ، رغم الإشكاليّة. تنطلي على هذا المصطلح لزوجة ومرونة تكسبانه صبغة فضفاضة، يمكنها أن تتمدّد وتتقلّص. الأحزاب، لا يمكنها أن تندرج تحت إطار هذا التّعريف، لأنّها مسجّلة رسميًا في اللعبة السّياسيّة.

في هولندا على سبيل المثال، من يمنح خدمات صناديق التّقاعد والرّفاه الاجتماعيّ، هي جمعيّات غير حكوميّة، حيث تمنحها الدّولة أموالاً من منطلق إيمانها بقربى هذه الهيئات إلى المجتمع نفسه، وعليه فهي ستجيد توزيع الحصص كما يتوجّب. الدّولة، في هذه الحالة، تستخدم هذه الجمعيّات كقناة تمرير أموال، ممّا يصعّب تعريف المجتمع المدني، حيث تُخْتَبَرُ الحدود والتّعريفات مجدّدًا لتخلق سياقًا خاصًا.

(*) سؤال: هل يمكننا أن نقول إن جزءًا من القوّة الرّمزيّة للمجتمع المدنيّ تنبع من كون المجتمع المدني يعمل خارج إطار الدّولة وخارج السياسة، في مكان نظيف من موازين القوى، ممّا يمكّننا من اعتبارها أشبه بضمير للمجتمع، ولذلك يتهافت الكل لينتسب إلى هذا "النّادي"؟

هيرمان: طيلة سنوات عديدة، آمنا ساذجين بهذه النّظريّة القائلة بصدق ونظافة هذه السّاحة وخلوّها من قذارة اللعبة السّياسيّة المؤسّساتيّة؛ إلاّ أنّنا وبعد ثلاثين عامًا من البحث ومن التّجربة، نحن على علم ويقين بأنّ الواقع يختلف تمامًا عن هذه النّظريّة ونظرتها. فمثلاً حول قضيّة أُجور عمّال/ موظّفي هذه الهيئات يدور نقاش، بعد أن تمّ اكتشاف أنّ العديد من المدراء أو المسؤولين الكبار في بعض هذه الهيئات يتقاضون لأنفسهم أُجورًا خياليّة، لا يتقاضاها من هم من السّوق الاقتصاديّة الحرّة الرّأسماليّة. فمن يراقب في مثل هذه الحالات؟ وما هي حدود المراقبة؟ وصلاحيّات المراقِب؟ استغلال التّبرعات، استغلال الموارد الاقتصاديّة والبشريّة، الأمر الذي أدّى إلى "فتح العيون". لا تنسَ أن الهيئات المدنيّة ذاتها تتنافس وتتقاتل على الموارد الاقتصاديّة لتأخذ نفسًا يبقي وجودها. كيف نقسّم المال؟ الكعكة صغيرة والكلّ يريد أن يقتطع حصّة. في هذا السّياق، يمكننا أن نتحدّث عن اختلاف بين الأشخاص الذين عملوا وتبرّعوا وتطوّعوا وضحّوا في نطاق عملهم في المجتمع المدنيّ، بينما نرى اليوم أنّ هذه الهيئات باتت حقلاً خصبا للتقدّم المهني الشخصي، ولترصيع السّيرة المهنيّة بأوسمة اقتصاديّة واجتماعيّة. يدور الحديث اليوم عن جيل ثالث من عمّال/ موظّفي المجتمع المدنيّ، في الجيل الأوّل كان من يتقاضون أجورًا هم الذين ترعرعوا مع الهيئة نفسها، أناس ضحوا ومنحوهم راتبًا ليعيشوا. تحوّلت هذه الجمعيات بطريقة جذريّة، فبات عملها ومبناها شبيهين بعمل ومبنى مؤسسات الدّولة!

(*) سؤال: وفقًا لهذا التّعريف المُسهِب للمجتمع المَدَنِيّ، الذي يضمّ على سبيل المثال حركات مثل "شلوم عخشاف"(السلام الآن) و"جوش إيمونيم" كهيئات ذات مُحَرِّكٍ أيديولوجيّ سياسيّ غير- برلمانيّ من ناحية، وجمعيّات مسجّلة تقدّم الخدمات من ناحية أخرى، يسأل السؤال: إلى أيّ مدى يمكننا اعتبار هذا التّعريف مفيدًا

لا تنسَ أن الهيئات المدنيّة ذاتها تتنافس وتتقاتل على الموارد الاقتصاديّة لتأخذ نفسًا يبقي وجودها. كيف نقسّم المال؟ الكعكة صغيرة والكلّ يريد أن يقتطع حصّة. في هذا السّياق، يمكننا أن نتحدّث عن اختلاف بين الأشخاص الذين عملوا وتبرّعوا وتطوّعوا وضحّوا في نطاق عملهم في المجتمع المدنيّ، بينما نرى اليوم أنّ هذه الهيئات باتت حقلاً خصبا للتقدّم المهني الشخصي، ولترصيع السّيرة المهنيّة بأوسمة اقتصاديّة واجتماعيّة.

من الناحية البحثية؟ وهل يعقل دمج الجميع تحت مظلّة بحثيّة واحدة؟ هل ما زال بإمكاننا التّطرّق إلى كافّة هذه الهيئات من نفس المنطلق نفسه، وبالأدوات البحثيّة المعرفيّة نفسها؟

هيرمان: بالطّبع لا، نحن الباحثين، لم نعد منذ زمن طويل ننظر إلى أجزاء هذا الطّيف كجسم واحد. المصطلح مجتمع مدنيّ بدأ كمصلح محدّد وتوسّع ليشمل طيفًا واسعًا من الأجسام والهيئات. نحن على سبيل المثال نقوم بالتّمييز بين **الوسط (القطاع) الثّالث** وبين **الوسط السّياسيّ**، فعلى سبيل المثال حركة "السّلام الآن" لا تنتمي إلى الوسط الثّالث، وفي سياق حديثنا، أودّ أن أستطرد وأقول لكَ بأن حركة "السّلام الآن" لم تتسجّل منذ قيامها، ولا مرّة، كجمعيّة مسجّلة، إلى حين إجبارها مؤخّرًا على ذلك بقرار من محكمة العدل العليا، بعد رفضهم لسنوات طويلة أن يمرّوا بمرحلة المأْسَسَة هذه.

لا نتطرّق في عملنا البحثيّ إلى المجتمع المدنيّ كطيف واحد أو موضوع بحثي واحد. نحن نقوم بتقسيم المجتمع المدنيّ إلى الكثير من التّقسيمات الفرعيّة لنتعامل معه بحثيًّا وموضوعيًّا، على خلاف نظريّة هابرماس الشمولية على سبيل المثال.

(*) سؤال: إذا أردت أن تتحدّثي حول المجتمع المدنيّ بنظرة إجماليّة لتلخّصي أهم محطاته وتأثّراته وعلاماته الفارقة، عند أيّ حوادث مفصليّة كنت ستقفين؟

هيرمان: يمكنني أن أقول إن براعم المجتمع المدنيّ تواجدت حتّى قبل قيام دولة إسرائيل، حيث أنّ هناك من يدّعي أنّ "الـيشوف" هو مثال على المجتمع المدنيّ. في السّبعينيات، مع كلّ التّغييرات التي طَرَأَت على الحقل السّياسيّ الإسرائيليّ وأثّرت على ديمقراطيّته، بدأنا نرى ظهور حركات اعتمدت السّياسة. السّبعينيات ذات تأثير كبير على هذه الديناميّكيّة الكبيرة، حيث أنّ احتجاجات العام ١٩٧٣ كانت الرّحم الذي وُلِدَ منه "غوش إيمونيم" و "شلوم عخشاف". رويدًا رويدًا، وبعد حرب ٧٣، أصبح موضوع نقد المؤسسة السياسية أمرًا شرعيًا ومقبولا في المجتمع الإسرائيلي، إلاّ أنّ شرعية ومقبوليّة هذا النقد كانت تتوقف على هويّة الطرف الذي يقوم به. فعلى سبيل المثال، وصفت غولدا مئير حركة "الفهود السّود" بأنهم "غير لطفاء"، في حين وصفت حركة "شلوم عخشاف" في عيد ميلادها الثمانين بأنّهم " لطفاء جدًا". وفي هذا الصّدد، فإنّ حركة "شلوم عخشاف" دَخَلَت السّياق السّائد وقُبِلَ خطابها لأنّها لم تتعدّ يومًا على النّظام القائم ولم تتحدّاه، فلا مانع من قبولها إذًا.

دائمًا كان هناك فصل بين المجتمع المدنيّ اليهوديّ وبين المجتمع المدنيّ العربيّ. وهذه قضيّة لا يحبّذون التّحدّث عنها هنا، لأنّهم يرغبون دومًا في الادّعاء أن المجتمع المدنيّ شامل لكافّة الأطياف. هذا ادّعاء غير صحيح. التّعاون الحقيقيّ الصّادق الذي نتَجَ بين المجتمعين المدنيّين كان في الهيئات النّسائيّة اليساريّة، منذ السبعينيات وحتى التسعينيات، حيث قمن بنشاطات أُعْتُبِرَت شاذّة في الحيّز العام. أحد أهمّ الأسباب التي مكّنت هذا النشاط المشترك، هو مناهضة النّساء العربيّات واليهوديّات الطّابع العسكريّ لجزء كبير من المجتمع المدنيّ الإسرائيليّ الذّكوريّ. هذه نقطة فاصلة، نشاط جندريّ مميّز.

(*) سؤال: في الثّمانينيات يمكننا أن نقول إن حركتين غير برلمانيتين من اليسار واليمين، "شلوم عخشاف" و"جوش إيمونيم"، قامتا بنشاطات احتجاجيّة يساريّة ويمينيّة، أثّرت إلى حدّ كبير في بلورة الخطاب المدنيّ في إسرائيل. هل يمكنك أن تشيري إلى حركات غير برلمانيّة (وفي هذا السّياق أستثني الجمعيّات) سواء يساريّة أم يمينيّة ذات طاقة كامنة لطرح نموذج مدنيّ مؤثّر يؤدّي إلى تغيير

إذا أخذنا حركة "غوش إيمونيم" على سبيل المثال، فقد حَدَثَت هنا ظاهرة مثيرة جدًا للاهتمام، فإذا ما نظرنا إلى تاريخ هذه الحَرَكة نجد أنّه تمّ استيعابها داخل الحركة الاستيطانيّة في الضّفة الغربيّة، وهو ائتلاف طوعيّ من قبل الحركة، وبذلك صارت هذه الحركة "فائضة عن الحاجة"، حيث أنّها تَمَأْسَسَت وأصبحت جزءًا من المؤسسة الحاكمة توزّع الأموال والوظائف. بالمقابل، فإنّ "شلوم عخشاف" مرّت بعمليّة مأسسة من نوع آخر أفقدتها الكثير من الدّعم.

جوهريّ في المجتمع المدنيّ الإسرائيليّ، على غرار "الفهود السّود" على سبيل المثال؟

هيرمان: يجب التّنويه أوّلاً أنّ "الفهود السّود" هي فئة أو حركة مدنيّة صغيرة، وصغيرة جدًا نسبيًّا، لأنّها احتوت فقط على عشرات الأشخاص، وهو عدد لا يمكن أن تصل به إلى أيّ تأثير على خطاب مدنيّ كامل. كان لهم طابعهم وخصوصيّتهم وصوتهم، لكنهم لم يؤثّروا على السّياق العامّ في إسرائيل. إذا أخذنا حركة "غوش إيمونيم" على سبيل المثال، فقد حَدَثَت هنا ظاهرة مثيرة جدًا للاهتمام، فإذا ما نظرنا إلى تاريخ هذه الحَرَكة نجد أنّه تمّ استيعابها داخل الحركة الاستيطانيّة في الضّفة الغربيّة، وهو ائتلاف طوعيّ من قبل الحركة، وبذلك صارت هذه الحركة "فائضة عن الحاجة"، حيث أنّها تَمَأْسَسَت وأصبحت جزءًا من المؤسسة الحاكمة توزّع الأموال والوظائف. بالمقابل، فإنّ "شلوم عخشاف" مرّت بعمليّة مأسسة من نوع آخر أفقدتها الكثير من الدّعم.

(*) سؤال: هل تم استيعاب "شلوم عخشاف" في المؤسّسة في أعقاب اتّفاقيّات أوسلو؟

هيرمان: لا، "شلوم عخشاف" لم تدخل المؤسّسة في أعقاب أوسلو، حيث أنّ المؤسّسة لم ترغب فيها ذات يوم، وللحقيقة التّاريخيّة نقول إنّه في الأمسية التي قُتِلَ فيها رئيس الحكومة إسحق رابين، أكثر ما أغضبه كانت اللافتات التي حملتها كلّ من حركتي "شلوم عخشاف" وميرتس، وطلب إبعادهما عن الصّفّ الأوّل. وعمليًّا قام رابين بإقصاء هاتين الحركتين ليبتعد عن هذه الصّورة. من أكثر الأمور اللافتة للنظر، أنّ رئيس الحكومة الرّاحل، رابين، عبر مرحلة اتّفاقيّات السّلام، لم يبادر ولو مرّة واحدة إلى ضمّ أيّ شخص كان من هذه الحركات ليرافقه في المفاوضات مع الفلسطينيين. نحن نتحدّث عن أناس أفنوا حياتهم ساعين لتحقيق هذا الهدف الماثل أمام أعينهم بينما هم مقصون، ممنوعون من المشاركة في هذه الطقوس السّياسيّة. رابين أخذ معه أهالي التّكالى، ومجموعات أخرى، واستثنى حركات السّلام اليساريّة التي لم تنجح في التّمأسس، على الرّغم من هذا الانطباع للوهلة الأُولى.

لقد تمأسست هذه الحركات بمعنًى آخر، حيث صارت تضمّ حرفيّي سلام، فقدوا صلتهم بالحقل وبالعمل الشعبي، وارتكبوا خطأً إضافيًّا حينما توجّهوا فقط إلى الطّبقات المسحوقة، مثل النّساء في الأحياء الفقيرة، جمهور حركة شاس، بهدف احتضان الجميع، والنتيجة كانت أنّهم لم ينجحوا بضمّ هذه الأصوات وخسروا الأصوات التقليدية ذات المصداقيّة والالتزام.

في كافّة أنحاء العالم، خَبَت وَذَوَت الثّورات الشّعبيّة التي اكتسحت العالم في السّتينيات والسبعينيات، فعلى سبيل المثال، توجّهت حركة "القوس الدّيمقراطيّ" إلى المسار القانونيّ، تاركة "الشّارع"، لقناعتها بعدم نجاعة ثورة الشّوارع. إلاّ أنّ ثورات العامّة والاحتجاجات الشّعبيّة عادَت لتنبعث في كافّة أنحاء العالم، من احتجاج روتشيلد في تل أبيب و"ثورة الخيام" الشّبابيّة في إسرائيل – صيف ٢٠١١، وحتّى "Occupy WallStreet"، وعلى الرّغم من الوجه الإيجابي لغياب خطاب مركزي موحّد لهذه الحركات،

من تظاهرة لـ" السلام الآن"

ما بعد الحداثة هَدَمت اليسار بالأساس، فاليسار ثار على الثّقافة السّائدة، وعلى السّياسة أيضًا؛ أمّا لدى اليمين فما زال الحديث عن الأيديولوجيا شرعيًا. ذبح اليسار كافّة البقرات المقدّسة، لكنه تسبّب في انتحاره. اليسار ضاع في أعقاب ما بعد الحداثة، "قتل" قادته، قتل كلّ "أب"، لا يمكنك أن تصير قائدًا في اليسار، حتّى في الأحزاب العربيّة نجد هذه الانشغالات التّافهة، كلّ قائد يُجابه بثورة فوريّة. بالطّبع هذا غير مقصود، لكن نفسيّتهم الجمعيّة تعمل بهذه الطّريقة.

إلاّ أنّ الوجه السلبي هو الحيرة والتردّد وعدم الوضوح: فمن الذي يحدّد الأجندة؟ ما هي الأهداف؟ ما هي الاستراتيجيّات؟ ما هي البوصلة؟ أين وجهتهم؟

ضلّلنا مشهد الجماهير الغفيرة المشاركة في الاحتجاجات الأخيرة في إسرائيل، إلاّ أنّها تختلف كثيرًا عن احتجاجات "غوش إيمونيم" و"شلوم عخشاف" في السّبعينيات، وعن احتجاجات جماهيرية أخرى في العالم. من أين جاءت هذه المطالبات بالانتخابات المباشرة؟ جاءت من إسبانيا، من أحياء فقر، ومن سياق تاريخي مفهوم، ومن لغة عمّاليّة وحاراتيّة تبلورت في إسبانيا نفسها، الأمر الغائب في إسرائيل، حيث تنعدم البنية التّحتيّة الاجتماعيّة الثّقافيّة لتكوّن مثل هكذا حركات تاريخيّة سياسيّة مدنيّة صادقة وفعّالة. وجوابًا على سؤالك، لا توجد اليوم حركات جديّة جوهريّة فاعلة في الحيّز العامّ الإسرائيليّ موازية لـ "غوش إيمونيم" أو "شلوم عخشاف".

(*) سؤال: بَيْد أنّه لا يمكننا أن ننكر تواجد جمعيّات غير حكوميّة، على السّاحة، تعمل بمهنيّة كبيرة، في ظلّ انعدام يسار برلمانيّ أو خارج- برلمانيّ في السّاحة السّياسيّة والمدنيّة. كيف تنظرين إلى دور هذه الجمعيّات الجادّة، وإلى نوع علاقتها مع بقايا اليسار الإسرائيليّ، وإلى خطابها المدنيّ؟

هيرمان: غالبيّة الجمعيّات المسجّلة هي جمعيّات غير سياسيّة، حيث تصل نسبة الأخيرة إلى ٣٪ فقط من مجمل الجمعيّات المسجّلة، التي تختصّ بغالبيّتها بالخدمات الطّبية، الاجتماعيّة وما إلى ذلك. وعليه، لا يمكننا أن نقول إن هذه الجمعيات تستقطب المورد البشريّ الذي كان مرشّحًا للعمل في السياسة العامة، بسبب نسبتها الضئيلة. لكن، عمليًا، تستقطب هذه الجمعيّات كثيرًا من الأشخاص الذي لا يريدون "الاتّساخ بقاذورات" السّياسة وفقًا لمعتقداتهم. هنا نجد شبانًا وصبايا كثرا يريدون التّغيير، ولم يمرّوا بأيّ عمليّة مأسسة، يريدون أن يكونوا "إيجابيّين" للمجتمع، وهم بالفعل يساهمون، لكنهم على خلاف الجيل الأوّل، يبتعدون عن السّياسة قدر الإمكان ويركّزون على التّنمية البشريّة.

(*) سؤال: هل يمكننا أن ندّعي أن روح ما بعد الحداثة أدّت إلى الابتعاد عن كلّ ما هو أيديولوجيّ، فمقابل حرب الأيديولوجيا التي سادت في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي يتمّ التحوّل إلى "حروب" موضوعيّة بؤريّة محدّدة؟ هل يجري التنازل عن حلم تغيير العالم مقابل الاكتفاء بإصلاح أمور عينيّة قابلة للتنفيذ؟

هيرمان: أعتقد أن ادّعاءك صحيح للغاية. ما بعد الحداثة هَدَمت اليسار بالأساس، فاليسار ثار على الثّقافة السّائدة، وعلى السّياسة أيضًا؛ أمّا لدى اليمين فما زال الحديث عن الأيديولوجيا شرعيًا. ذبح اليسار كافّة البقرات المقدّسة، لكنه تسبّب في انتحاره. اليسار ضاع في أعقاب ما بعد الحداثة، "قتل" قادته، قتل كلّ "أب"، لا يمكنك أن تصير قائدًا في اليسار، حتّى في الأحزاب العربيّة نجد هذه الانشغالات التّافهة، كلّ قائد يُجابه بثورة فوريّة. بالطّبع هذا غير مقصود، لكن نفسيّتهم الجمعيّة تعمل بهذه الطّريقة.

(*) سؤال: أودّ الانتقال إلى مركز آخر للمجتمع المدني، عدا عن علاقته بالحكومات وبالدّولة، وإنّما تلك العلاقة التي تربطه مع رأس المال والسّوق الاقتصاديّة المحليّة والعالميّة، هلاّ قلت لنا بكلمات مقتضبة كيف تنظرين إلى لَبْرَلَة سنوات السّبعينيات والثّمانينيات والنيو-ليبراليّة المنبثقة عن سنوات الألفين، وتأثيراتها على ارتفاع عدد الهيئات والجمعيّات المسجّلة المنضوية تحت هذه المظلّة؟ كيف تربطين بين الأمرين؟ وهل يعني هذا الارتفاع الحاد في عدد الجمعيّات انسحاب الدّولة

أعتقد أن خيبة الأمل من موجة احتجاجات ٢٠١١ كانت كبيرة، فلا أرى أيّ مفرّ من السّياسة المؤسّساتيّة في إسرائيل كمكان يمكن إحداث التّغيير الجوهريّ من خلاله. لكن المشكلة تكمن في صعوبة العثور على حركات كهذه في إسرائيل، أقصد حركات تبتغي التّغيير الجوهريّ، إذ أنّه حتى القوى المعارضة تقبل بقواعد اللعبة، لكن الأنكى والأمرّ من ذلك هو أنّ غالبيّة النّاس هنا تقبل بقواعد اللعبة، حتّى من يعيشون في ظلّ أوضاع سيّئة

تدريجيًا من منح خدماتها لمجتمعها؟

هيرمان: سأبدأ من النّهاية، هناك انسحاب جزئيّ من قبل الدّولة، هناك تضليل معيّن في هذه القضيّة، فلننظر للحظة إلى دولة مثل دولة النّرويج، التي تعتبر دولة اشتراكيّة– ديمقراطيّة بمفاهيم كثيرة، تقارب تعريف الدّولة الاشتراكيّة البحتة في سياقات معيّنة، لكن هذه الخدمات تراوح حدود الفاشيّة بمفهوم معيّن، حيث أنّ هيئات العمّال، الشّركات الكُبرى، حزب العمّال والحكومة، كلّها مرتبطة بشبكة وطيدة العلاقات. فنجد أنّ العمّال ورؤساء الأموال، بالتّضافر مع كبار المدراء والسّياسيّين، جميعهم يأتون من ذات الفضاء، فضاء خالٍ من الهيئات غير الحكوميّة، حيث لا حاجة. هذا النّموذج يُعْتَبَرُ نموذَجًا ائتلافيًا، فمدير عامّ لجان العمّال لديهم، يبرم الصّفقات مع كُبْرَى شركات النّفط ومع رئيس الحكومة. لوهلة أُولى يبدو هذا النّموذج إشكاليًا، إلاّ أنّه فَعَّال وناجع ومفيد، يجب التّنويه أنّ الدّولة لم تنسحب، لأن لا أحد ينافسها أو يهدّدها. حتّى رابطات العمال الكبيرة معنيّة بهذا التّعاون.

كيف تبلوَرَ هذا النّموذج؟ في البداية، نَمَت هذه الهيئات كإضافة لمؤسّسات الدولة، مثل "التّربية الرّماديّة" على سبيل المثال، التي جاءَت في الثّمانينيات، محطّات الرّاديو المختلفة، حيث أتَاحَت الدّولة هذه المساحات، وارتأَت الانسحاب، ليتّضح لاحقًا أن الدّولة كادت تختفي، أو أنّها تصرّفت بحنكة وقامت بتفعيل مقاولين فرعيّين لها (Subcontracters) هي تلك الهيئات غير الحكوميّة. تطوّرت هذه الهيئات غير الحكوميّة بسبب ضخّ الأموال الكثيف الذي قامت به الدّولة، ناهيك عن تعاون هيئات اقتصاديّة ضخمة قامت هي أيضًا بضخّ أموال هائلة إلى هذه الهيئات بهدف الحفاظ على الاستقرار والثّبات. يمكن القول إنّ مثل هذه الهيئات، الحكوميّة وغير الحكوميّة، اتّفقت على تهدئة الأوضاع، لصالحها، لصالح الدّولة، وبالتّالي للصالح العامّ، وعمليًا الهيئات التي من المفروض أن تهدّد الدّولة، تمَاهَت معهَا وسلكت ذات الطّريق الآمن المؤتلف.

في دولة النّرويج تتواجد القليل من الحركات غير الحكوميّة التي تحتجّ وتعترض على هذا النّموذج الدّامج بين العنصر الحكوميّ والمدنيّ، إلا أنّ عدد هذه الهيئات الرّافضة قليل، ناهيك عن أنّها تكاد تكون غير مسموعة وغير مؤثّرة على الجوّ العامّ والحراك المدنيّ والمؤسّساتيّ.

النيو– ليبراليّة، يمكننا القول، قامت بدعم قسم هائل من مجتمع الهيئات غير الحكوميّة، وساهمت بتهدئة الأوضاع واستقرارها. صَمَتَ النّاس وفقًا لهذه المنظومة.

(*) سؤال: إذا أردت تشخيص مراكز قوّة، من شأنها أن تجذب مجموعة معيّنة غير حكوميّة تبتغي أن تعمل وتغيّر في المجتمع هنا والآن، أين تكمن هذه القوى؟ أم أنّك ترين أنّه في إسرائيل لا مفرّ من امتهان السّياسة بغية التأثير؟

هيرمان: أعتقد أن خيبة الأمل من موجة احتجاجات ٢٠١١ كانت كبيرة، فلا أرى أيّ مفرّ من السّياسة المؤسّساتيّة في إسرائيل كمكان يمكن إحداث التّغيير الجوهريّ من خلاله. لكن المشكلة تكمن في صعوبة العثور على حركات كهذه في إسرائيل، أقصد حركات تبتغي التّغيير الجوهريّ، إذ أنّه حتى القوى المعارضة تقبل بقواعد اللعبة، لكن الأنكى والأمرّ من ذلك هو أنّ غالبيّة النّاس هنا تقبل بقواعد اللعبة، حتّى من يعيشون في ظلّ أوضاع سيّئة، يخافون من الاحتجاج، لأنّه على ما يبدو فأمورهم ليست سيئة للغاية إلى درجة تجعلهم يقومون وينتفضون ضدّ النّظام المجحف. في نهاية المطاف، يخاف جميعنا من انتفاضة جديّة ضدّ المؤسّسات الحكوميّة، خوفًا من تدهور الأوضاع إلى أسوأ، فيقبلون بالأمر الواقع خوفًا وكراهية. أتعلم ماذا، لنهاية حوارنا، أودّ أن أصرّح بأن لا الحركات العربيّة، ولا اليساريّة، ولا المتديّنة اليهوديّة، كطبقات ضعيفة مُسْتَضْعَفَة، تعمل بما فيه الكفاية، وبما يتلاءَم مع متطلّباتها، لكنها على أرض الواقع، من وجهة نظري الماركسيّة البحتة، هي لا تعمل بتاتًا نحو حلّ جذريّ لقضاياها الملحّة.